ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Ahmed Manaf Hassan

Tikrit University, College of Education for Humanities

Noah Zarnan Abdul Jabbar

Tikrit University, College of Education for Humanities

* *Corresponding author: E-mail* :
noohzarnan@tu.edu.ig
009647710660767

Keywords:
Miracle
Array
context of the Holy Quran

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Sept 2024
Received in revised form 25 Nov 2024
Accepted 2 Dec 2024
Final Proofreading 2 Mar 2025
Available online 3 Mar 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

The Inimitability of the Quran's Literary Structure: A Modernist Vision for Future Studies

A B S T R A C T

The research addresses the issue of the relationship between the word and the meaning in Arabic rhetoric, as it confirms that the system is not limited to the arrangement of words only, but also includes the organization of meanings and coordination of connotations. It explains that people's differences in their appreciation of speech are due to their ability to perceive this system.

The research discusses the opinions of rhetoricians about the priority of the word or the meaning, as some of them see that the word is the most important, while others go to the equality of the two in value. The researcher cites the sayings of Ibn Tabataba, who believes that speech without meaning is like a body without a soul. He also explains that the context plays an important role in determining the meaning of words, so that each word must be consistent with the context in which it appears.

The research cites Quranic verses as evidence of the harmony of the conclusion of the verses with their context, indicating that the Holy Quran provides new visions for addressing intellectual, social and psychological issues. It also explains the role of justice in legal texts, such as the command to establish justice even if it is against oneself or relatives.

The research concludes that achieving correct eloquence lies in the balance between the word and the meaning, taking into account the context and human values

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.3.3.2025.25

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

اعجاز النظم في القران الكريم رؤية حداثية لدراسات المستقبل

أحمد مناف حسن/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الانسانية

نوح زرنان عبد الجبار/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة:

البحث يتناول قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى في البلاغة العربية، حيث يؤكد أن النظم لا يقتصر على

ترتيب الألفاظ فقط، بل يشمل أيضًا تنظيم المعاني وتنسيق الدلالات. يوضح أن اختلاف الناس في تذوق الكلام يعود إلى قدراتهم على إدراك هذا النظم.

يناقش البحث آراء البلاغيين حول أولوية اللفظ أو المعنى، حيث يرى بعضهم أن اللفظ هو الأهم، بينما يذهب آخرون إلى تساويهما في القيمة. ويستشهد الباحث بأقوال ابن طباطبا الذي يعتبر أن الكلام بلا معنى كالجسد بلا روح. كما يوضح أن السياق يلعب دورًا مهمًا في تحديد دلالة الكلمات، بحيث يجب أن تتناسب كل كلمة مع السياق الذي ترد فيه.

يستدل البحث بآيات قرآنية على انسجام ختام الآيات مع سياقها، مشيرًا إلى أن القرآن الكريم يقدّم رؤى جديدة لمعالجة القضايا الفكرية والاجتماعية والنفسية. كما يوضح دور العدل في النصوص الشرعية، مثل الأمر بإقامة القسط ولو كان ضد النفس أو الأقارب.

في النهاية، يخلص البحث إلى أن تحقيق البلاغة الحقيقية يكمن في التوازن بين اللفظ والمعنى، مع مراعاة السياق والقيم الإنسانية.

الكلمات الافتتاحية : اعجاز _ نظم _ سياق القران الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومن سار على نهجه الى يوم الدين

وبعد فان موضوع اعجاز بالنظم من المواضيع الأساسية في اعجاز القرآن الكريم وتفسيره، إذ يمثل أداة تحليلية تساهم في فهم كيفية تنظيم الاعجاز وتشكيل المعاني. إن فهم هذا المفهوم يساهم في إظهار التفاعل العميق بين الألفاظ والمعاني، مما يُعزز من قدرة النصوص على إيصال رسائلها بوضوح وجمال وتوسع دائرة المعاني التفسيرية. لذلك، فإن هذا البحث يتناول نظرية النظم، مستهدفًا تسليط الضوء على أهميتها وتأثيرها في النصوص التفسيرية، خصوصًا وانها حجر الزاوية في الاعجاز القرآني .

أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في كونه يُعالج قضية النظم في الاعجاز القراني، وكيف يُمكن للكلمات أن تُنظم لتصبح كيانًا متكاملًا يحمل معانٍ عميقة. إن دراسة نظرية النظم تُساهم في تعزيز الفهم الاعجازي، حيث تُظهر كيف أن التركيب اللغوي ليس مجرد تجميع لألفاظ، بل هو فن يتطلب الإبداع والتقنية. كما أن هذا البحث يعزز من أهمية فهم النصوص بشكل شامل، ويُبرز كيفية تأثير النظم في الفهم والتفسير.

أسباب اختيار الموضوع

تم اختيار موضوع نظرية النظم لعدة أسباب، منها:

الإعجاز القرآني: إن القرآن الكريم يمثل قمة بلاغة اللغة العربية، ودراسة نظرية النظم فيه تساعد على فهم جوانب إعجازه. تعدد التأويلات: يتسم النص القرآني بقدرة على تفسيره بعدة طرق، مما يجعل دراسة النظم أمرًا ضروريًا لفهم تلك التأويلات. التفاعل بين اللفظ والمعنى: دراسة النظم تُظهر العلاقة الوثيقة بين الألفاظ ومعانيها، مما يسهل فهم النصوص بشكل أعمق.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في كيفية تحديد مفهوم نظرية النظم وأهميتها في النصوص القرانية. إذ أن الفهم التقليدي للنظم قد يُقصر على ترتيب الألفاظ، بينما يُظهر البحث أن النظم هو عملية أكثر تعقيدًا تشمل المعاني والعواطف. لذا، يطرح البحث تساؤلات حول كيفية تأثير النظم في بلاغة النصوص وإعجاز القرآن، وكيف يمكن أن يساعد في تعزيز الفهم الجمالي والفكري للنصوص.

أهم النتائج

تخلص الدراسة إلى عدة نتائج أساسية، منها:

تعزيز الفهم: يُظهر البحث أن النظم له تأثير كبير في كيفية فهم المتلقي للنصوص، حيث يُعزز من عمق المعاني وبلاغة التعبير.

التركيب الجمالي: يُعتبر النظم عنصرًا أساسيًا في تشكيل جمال الآيات القرآنية، حيث يُسهم في خلق تجربة حسية ومعرفية متكاملة للقارئ.

تعدد المعاني: تُظهر نتائج البحث أن للنظم دورًا في فتح آفاق جديدة لتفسير النصوص، مما يُعزز من استمرارية الأثر الأدبي.

التوصيات

استنادًا إلى نتائج البحث، يمكن تقديم عدة توصيات:

تعزيز التعليم: ينبغي تطوير مناهج تعليمية تُركز على دراسة النظم في الاعجاز القرآني مما يعين على توسيع دائرة المعاني مما يعطي بعدا تفسيرا صالحا لكل زمان ومكان، ولتعزيز الفهم لدى الطلاب.

البحث المستمر: يُوصى بإجراء مزيد من الدراسات حول نظرية النظم، خاصة لطلبة الدراسات العليا والابحار في هذا المحيط العميق لاستخلاص المعاني وفق منهج حداثي .

دراسات مقارنة: يُفضل إجراء دراسات مقارنة بين النظم في القرآن والنصوص الأدبية الأخرى لتعميق الفهم البلاغي والنقدي.

في الختام، يُعتبر هذا البحث خطوة نحو فهم أعمق لنظرية النظم وأهميتها، مما يُعزز من مكانة التفسير والاعجاز في القران الكريم والفكر الحداثي المعاصر وان القران الكريم صالح لكل زمان ومكان .

المبحث الاول مفهوم النظم في القران الكريم

المطلب الاول تعريف النظم لغة واصطلاحا

النظم لغة : النظم في اللغة جمع اللؤلؤ في السلك . والنظم التأليفُ وضَمُّ شيء إلى شيءٍ آخَرَ والمَنْظومُ والجماعَةُ من الجَرادِ وثَلاثَةُ كواكِبَ من الجَوْزَاءِ والثُّريَّا والدَّبَرانُ . ونَظَمَ اللُّؤْلُؤَ يَنْظِمُهُ نَظْماً ونِظاماً ونَظَّمَهُ : أَلَّفَهُ وجَمَعَهُ في سِلْكٍ فانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ . وانْتَظَمَه بالرُّمْحِ : اخْتَلَّهُ . والنِظامُ : كُلُّ خَيْطٍ يُنْظَمُ به لُؤْلُؤٌ ونحوه : ككُتُبٍ ومِلاكُ الأَمْرِ : أَنْظِمَةٌ وأناظيمُ ونُظُمٌ والسيرَةُ والهَدْيُ والعادَةُ (القاموس المحيط1500/1)

النظم اصطلاحا : تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل. وقيل هو الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل.
النظم تآخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام
فالبلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب (الإيضاح في علوم البلاغة13/1)

المطلب الثاني : مفهوم نظرية النظم واهميتها.
مفهوم النظم عند الامام الجرجاني رحمه الله تعالى قال "نظمُ الكلمِ فليسَ انك تَقْتضي في نظمِها آثارَ المعاني وتُرتِّبُها على حسبِ ترتيبِ المعاني في النَّفس . فهو إذاً نظمٌ يعتبرُ فيه حالُ المنظوم بعضهُ معَ بعضٍ وليسَ هو النَّظم الذي معناهُ ضَمُّ الشَيءِ إلى الشّيءِ كيف جاءَ واتَّفق . وكذلك كانَ عندَهُم نظيراً للنَّسجِ والتّأليفِ والصياغةِ والبناءِ والوَشْيِ والتّحبير وما أشبه ذلك مما يوجبُ اعتبارَ الأجزاءِ بعضِها معَ بعضٍ حتىّ يكونَ لوضعِ كلٍّ حيثُ وَضعُ علّةٍ تَقْتضي كونَه هناك وحتى لو وُضعَ في مكانٍ غيرِه لم يَصحَّ والفائدةُ في معرفة هذا الفرقِ أنَّك إذا عرفتَه عرفتَ أنْ ليس الغرضُ بنظمِ الكلِم أن توالَتْ ألفاظُها في النُّطق بل أن تناسَقتْ دلالتُها وتلاقتْ مَعانيها على الوجهِ الذي اقتضاهُ العقلُ . وكيف يُتَصورُ أن يُقصَدَ به إلى توالي الألفاظِ في النُّطق بعد أن ثبتَ أنّهُ نظمٌ يُعتبرُ فيه حالُ المنظوم بعضِه معَ بعضٍ وأنه نظيرُ الصَّياغةِ والتَّحْبِير والتَّفْويفِ والنَّقشِ وكلَّ ما يُقصد به التَّصويرُ وبعد أن كُنّا لا نشكُّ في أنْ لا حال للفظةٍ معَ صاحبتها تُعتبر إذا أنت عَزَلتَ دَلالَتهما جانباً . وأيُّ مساغٍ للشكَّ في أنَّ الألفاظَ لا تستحقُّ من حيثُ هي ألفاظٌ أن تُنظَمَ على وجهٍ دونَ وجهٍ " (الجرجاني ع.).

فيقصد بتحبير الثوب والخط تحسينه وتزيينه، وتفويف البرود – الملابس – أن تكون بها خطوط بيضاء للتحسين والتزيين، وكل هذا بترتيب خاص يؤدي إلى صورة حسنة، ويقاس على هذا نظم الكلام وتصوير، والتصوير هنا بمعناه العام وهو التشكيل والنظم على هيئة متناسقة.

وهذا دليل على أن النظم نظم معان وليس نظم ألفاظ و حروف منطوقة، وحاصله: أننا لو خلعنا من الألفاظ دلالاتها ومعانيها لما وجب فيها ترتيب ولا نظام. و حاصل هذا أنه لا يكفي اجتماع الكلمات كيفما اتفق، بل لا بد من ترتيبها في النطق حسب ترتيبها في النفس حتى تؤدي الغرض المقصود، فكلمات المعجم المفردة لو حفظت مرتبة أو غير مرتبة لا تفيد معنى تاما مركباً طالما لم يعمد فيها ترتيباً خاصا يؤدي غرضًا ما، فمدار النظم على اجتماع كلمات مرتبة حسب ترتيب معانيها في النفس. والحاصل هذا أنه لو كان القصد بالنظم مجرد توالي ألفاظ لاستوى الناس في الإحساس بحسن النظم أو عدم حسنه؛ لأنه مجرد أصوات، لكن الواقع أن الناس يتفاوتون في فهم الكلام وتذوقه حسب قدراته وهذا دليل على أن النظم نظم معاني وتنسيق دلالات، وهذا دليل واقعي ملموس وهو أننا لو خلعنا من الألفاظ دلالاتها لما وجب فيها ترتيب (شادي م.، 2010).

فمعنى النظم عند عبد القاهر الجرجاني –رحمه الله– أن ليس النظم إلَّا أن تضع كلامك على الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرفَ مناهجه التي نُهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها. فالنظم: هو توخي معاني النحو لأن توخي معاني النحو بإيجاز وببساطة، هو ما يجعلك أن تعدل عن أسلوب إلى آخرَ مفضِّلًا عمن عدلتَ عنه، يعني: تختار، يقصد بذلك أنه لماذا اختار الشاعر أو الأديب أو الكاتب أسلوبًا معينًا من الأساليب النحوية، ولم يختَرْ الأسلوب الآخر المساوي له أو الذي يمكن أن يستخدمه، فمن توخَّ معاني النحو واختار ما يخرج نظمه على صورة بديعة. هذا هو المقصود بالنظم عند عبد القاهر الجرجاني رحمه الله تعالى .

ووضَّح ذلك –رحمه الله– بأمثلة يبين منها مرادَه، قال: وذلك أنَّا لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، زيد ينطلق، ينطلق زيد، منطلق زيد، زيد منطلق، والمنطلق زيد، زيد هو المنطلق، زيد هو منطلق. ضرب أمثلةً متنوعة للعبارات ومقصده من ذلك أنك إذا أردت الإخبار –الخبر الذي هو مقابل الإنشاء– فإنك إما أن تأتي بجملة اسمية أو بجملة فعلية، وإذا ما أتيت بجملة فعلية فإنك تختار الفاعل إما أن يكون معرفًا أو منكرًا، وإذا ما أتيت بجملة اسمية فإما أن تخبر عنها بجملة فعلية، أو تخبر عنها باسم المفرد، وإذا ما أردت بالإخبار بالمفرد، فإما أن تضع ضمير فصل أو لا تضع ضمير فصل، وإذا ما وضعت ضمير فصل، فَرْق بين أن يكون ما بعده معرفًا أو منكرًا.

ذلك مقصده من الأمثلة التي ضربها، فاختيارك لأسلوب معين في الإخبار، يفرِق من أسلوب أو من صياغة إلى أخرى. وكذلك في الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، أي: التعبير بالمضارع، وإن خرجتَ خرجتُ، أي: التعبير بالماضي، بأن يكون فعلا الشرط والجزاء ماضيين، وقولك: إن تخرج فأنا خارج، بأن

تقرن الجوابَ بالفاء، وبأن تقول: أنا خارج إن خرجتَ، أن تقدم وتؤخر في أسلوب الشرط، وأن تقول: أنا إنْ خرجتَ خارج، فذلك أيضًا فَرْق في الاستخدام النحوي (شادي ل.، الطبعة الاولى 2010).

يضرب مثالًا آخرَ فيقول: وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيد مسرعًا، أي: التعبير بالحال المفردة، وجاءني يسرع، أي: مجيء الحال جملة فعلية، أو جاءني وهو مسرع أو وهو يسرع، فمجيء الحال جملة اسمية خبرها مفرد أو جملة فعلية، وجاءني قد أسرع، لاقتران الحال بـ"قد" وجاءني وقد أسرع، وقوع "قد" مع التعبير بالماضي في مجيء الحال. فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له.

وكذلك ينظر في الحروف التي تشترك في معنًى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلًّا من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجيء بـ"ما" في نفي الحال، و"لا" إذا أراد نفي الاستقبال، و"إنْ" فيما يترجح في أن يكون أو لا يكون التي تفيد الشك كما تعلمون، وبـ"إذا" فيما علم أنه كائن، وينظر في الجمل التي تُسرد فيعرف موضع الفصل من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم موضع الواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع ثم، وموضع أو من موضع أم، وموضع لكن من موضع بل، ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، وفي الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيصيب بكل من ذلك مكانةً، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له.وهكذا يوضح الجرجاني القضيةَ بأسرها، أنها هذا النظم وهذه الفصاحة وهذه البلاغة التي تفرق بين كاتب وآخر، وشاعر وغيره، وبين ناظم وسواه، هي التصرف في الوجوه النحوية كما ذكر، ومما ذكرت لك يتبين لك أنه شمل جميع أوجه البلاغة والفصاحة. (محمد ابراهيم شادي ، 2010)

فالنظم أنه يعادل لفظَ الأسلوب الذي يخرج به الكلام، وهذا الكلام يدور بين شيئين أساسيين؛ لفظ ومعنى، معنى داخلك تريد أن تعبر عنه، ولفظ تعبر به عن المعنى الذي تريده، فهي قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى.

بإيجاز: العلاقة بين مادة النظم أي: العلاقة بين اللفظ والمعنى، وهذه قضية –كما يقول أهل العلم– قديمة جديدة، فهي تتجدد بتجدد الأيام، وهي مسألة شغلت العلماء وتناولوها تفصيلًا وتكلموا فيها كثيرًاقضية اللفظ والمعنى، وعبد القاهر الجرجاني أسهب في كتابه في بيان هذه القضية على مدار الكتاب؛ لأن مسألة تتعلق بنظريته في الإعجاز، أن إعجاز القرآن راجع إلى نظمه.

مجمل هذه القضية بإيجاز: أن للعلماء فيها ثلاثةَ أقوال:

– القول الأول: أن اللفظ أعلى من المعنى، وأعظم قيمةً، وأعز مطلبًا، وكان الجاحظ أول مَن نادَى به في نقد الأدب العربي، وذكر بيتين استشهد بهما على أهمية المعنى، وأن المعنى لا بد أن يكون شريفًا، وأن يتناول معنًى أخلاقيًّا، وما إلى ذلك، من استحسان أبي عمر الشيباني لهذين البيتين:

لا تحسبن الموت موت البِلى ... وإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موتٌ ولكن ذا ... أشد من ذاك على كل حال

فعقَّب الجاحظ بقوله: وذهب الشيخ إلى استحسان المعاني، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وصِحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك، وإنما الشعر صناعة، وضربٌ من التصوير. فهذا الفريق الذي يذهب صراحةً إلى أن اللفظ أعلى من المعنى في قضية النظم.

وكذلك أبو هلال العسكري فليس الشأن في إيراد المعاني؛ لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي، والقروي والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، وليس يُطلَب من المعنى إلا أن يكون صوابًا، ولا يقنع من اللفظ بذلك، ولهذا تأنق الكاتب في الرسالة، والخطيب في الخُطبة، والشاعر في القصيدة، يبالغون في تجويدها، ويغالون في ترتيبها؛ ليدلوا على براعتهم، وحذقهم بصناعتهم، ولو كان الأمر في المعاني لطرحوا أكثرَ ذلك، فربحوا كدًّا كثيرًا، وأسقطوا عن أنفسهم تعبًا طويلًا.

هذا هو فريق يذهب إلى أن اللفظ أعلى من المعنى.

وفريق آخر يذهب إلى العكس، فيقول: المعنى أفضل من اللفظ، ويؤيد هذا الفريق الآمدي الذي يقول عمَّن سماهم أهل النَّصَفة من أصحاب البحتري، يقول: مِن أن اهتمام أبي تمام بمعانيه أكثر باهتمامه بتقويم ألفاظه، على شدة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة، وأنه إذا لاح له أخرجه بأي لفظ استوى من ضعيف أو قوي. ويعقب الآمدي على هذا بقوله: هذا أعدل ما سمعتُ من القول فيه، وإذا كان هذا هو هكذا فقد سلموا له الشيء الذي هو ضالة الشعراء وطلبتهم، وهو لطيف المعاني، وبهذه الخلة دون سواها فُضِّلَ امرؤ القيس؛ لأن الذي في شعره من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة، فوقَ ما في أشعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام.

فهذا فريق يرى أن المعاني هي أعلى قدرًا من الألفاظ.

أما الفريق الثالث الذي ناقش قضيةَ اللفظ والمعنى، فذهب إلى أن تلك الثنائية حرف في بحر، أي: لا داع لها بأن يفرق لها بين اللفظ والمعنى، فكلاهما مدار الصورة الأدبية، فهذا الفريق سوَّى بين اللفظ والمعنى في القيمة وفي التقدير، فالصورة الأدبية كالكائن الحي، فكما لا يصح فَصْل الجسم عن الروح، فكذلك لا يصح فصل اللفظ عن المعنى، فكلاهما مكمل للآخر. يقول ابن طباطبا: والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روحَ فيه كما قال بعض الحكماء: للكلام جسد وروح، فجسده النطق وروحه معناه.

فكان ذلك هو الاختلاف بين العلماء في قضية اللفظ والمعنى، والعلاقة بينهما إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني، فوجد –كما يقول الدكتور لاشين– البحوث

ممهدة، ولكل فريق حجته الناهضة، ورأيه السديد، فلم يكن رأيه صريحًا في الاتجاه إلى واحد منهم، فقد أثر عنه في كتابيه (أسرار البلاغة)، و (دلائل الإعجاز) كلامٌ يؤكد أفضلية المعنى، وآخرُ يؤيد أفضلية اللفظ، وتارةً يكون الكلام مغشًّى بالغموض والإبهام بين تأييد اللفظ والمعنى، مما يصعب على الفاحص والدارس أن يستخلص حقيقة رأيه، أو يهتدي إلى صريح مذهبه.

وهناك رأيًا آخرَ في هذه القضية مما يتعلق بعبد القاهر الجرجاني، وهو أن مَن فهِمَ من كلام عبد القاهر في بعض نصوصه أنه يؤيد اللفظ، لم ينظر جيدًا إلى مراد عبد القاهر باللفظ. (فوزي)

فالحاصل الذي ينتهَى إليه أن عبد القاهر الجرجاني موقفه محسوم قاطع واضح، لا رِيبةَ فيه، فالرجل نص على أن اللفظ بمعزل عن السياق لا قيمة له، وأن اللفظ غاية ما يقال فيه إذا ما كان منفردًا: هو أنه مألوف، أو مستوحش، غريب أو سائر، مستخدم، ولا قيمةَ له خارج النص. أما تعبيره باللفظ في بعض المواضع فيتضح في سياق الكلام أنه يريد به الصورة التي خرج بها الكلام، ويشير في معنى آخر وفي نصوص أخرى في كتابه إلى أن اللفظ هو المعنى المراد الذي يقال، فتعبيره باللفظ لا يراد به الكلمة المفردة؛ لأن الرجل نص نصًّا صريحًا بأن الكلمة في مفردها لا قيمةَ لها دون النظم الذي خرجتْ فيه (فوزي).

اذن فيعرف النظم بأنه ترتيب الكلمات بطريقة تضمن الوضوح والجمال، وهو يتطلب التفكير الدقيق في كيفية تجميع الكلمات والجمل لتشكيل نص متماسك. فما النظم الا هو انسجام الأفكار والألفاظ، إذ يُعتبر أن كل كلمة يجب أن تتناسب مع السياق الذي تظهر فيه، مما يعزز من قوة النص وتأثيره على المتلقي. فجمال والبلاغة يُعتبر النظم عنصرًا أساسيًا في البلاغة. فالنظم الجيد لا يقتصر على صحة التركيب، بل يتطلب أيضًا الجمال في التعبير، مما يساهم في إثارة المشاعر وتحقيق تأثير أعمق.

فإعجاز القرآن الكريم يمثل قمة النظم، حيث يجمع بين المعاني العميقة والأسلوب الفائق. يُعتبر القرآن مثالاً حيًا على النظم البليغ الذي لا يمكن تقليده. فالتناسب بين الآيات والسور يعكس قدرة الاعجاز القرآني على توصيل الرسائل الإلهية بوضوح وبلاغة، مما يجعل له تأثيرًا كبيرًا على النفوس. ان تنوع الأساليب القرآنية واستخدام الأنماط المختلفة في التعبير، حيث يُظهر ذلك قدرة النص القرآني على مخاطبة مختلف الطبقات والفئات. وأن تأثير القرآن الكريم على الأدب العربي كان عميقًا، حيث استلهم الأدباء من بلاغته ونظمه في أعمالهم.

المطلب الثالث : فهم النظم وفق المنهج الحداثي

فهم النظم في القرآن الكريم وفق المنهج الحداثي يعتمد على تحليل النصوص بشكل يتماشى مع التطورات الثقافية والفكرية المعاصرة. فالتعددية المعنوية تنظر إلى القرآن الكريم كنص الهي متعدد المعاني، حيث يمكن تأويل الآيات بطرق مختلفة تعكس السياقات الثقافية والفكرية الحديثة فهو معجز صالح لكل زمان ومكان .

فالمنهج الحداثي يركز على جماليات اللغة والأسلوب، مُحللاً كيف يُسهم النظم في إيصال المعاني ببلاغة مؤثرة. يُعتبر التركيب اللغوي في القرآن تجسيدًا للجمال والعمق في اللغة والاسلوب. فمن المنهج الحداثي هو التفاعل مع القارئ ويُعتبر القارئ جزءًا من عملية فهم النص، حيث تُعطي الحداثة دورًا أكبر لتجربة القارئ وتأويلاته الشخصية. فالنص يُصبح حيًا ومفتوحًا لمختلف القراءات وهذا ما نجده في النص القرآني حيث ان النص القرآني بأسلوبه البديع تجده يصور لك المشهد وكأنه واقعا حيا تعيش فيه من خلال نظم معاني والالفاظ مما يجعل القارئ يوكب الحدث ويعيش اجواء النص بكل تفصيلاته الدقيقة سواء على سبيل القصة او الوعظ والارشاد مما يجعل النص روحا منبثقة تحاور النفس فالنص القرآني نصا متجددا من حيث الفاظه ومعانيه ولا جمود في اللفاظة وهذا ما يميزه عن اسلوب البشر .

المبحث الثاني : اعجاز النظم في القران الكريم

المطلب الاول : التأثير البلاغي للنظم وكيف يتوافق مع مفاهيم الحداثة .

يمثل التأثير البلاغي للنظم في القرآن الكريم عنصرًا أساسيًا في فهمه وتأثيره على المتلقي. يتسم النظم القرآني بجماله وعمقه، وهو يتوافق مع العديد من مفاهيم الحداثة ولنعط نماذج على ذلك

1. يُستخدم النظم في القرآن للتعبير عن المعاني بطرق بليغة وجذابة، مما يُحدث تأثيرًا عميقًا على النفس. هذه البلاغة تُعبر عن الجمال الفني الذي يُلهم الشعراء والكتاب في العصر الحديث. فالصورة الفنية تبرز النظم القرآني من خلال الصور البلاغية، مثل الاستعارة والتشبيه، مما يُعطي النص أبعادًا جمالية تعكس عمق المعاني.

لنضرب على ذلك مثالا قال تعالى (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذلك هو الفوز العظيم)

(يوم ترى): يجوز أن يكون(يوم ترى) ظرفاً لقوله تعالى (وله أجر كريم) أي له أمر كريم في ذلك اليوم، أو على تقدير اذكر يوم ترى المؤمنين تعظيماً لذلك اليوم(ينظر لسان العرب (كرم)، تاج العروس (كرم). أنظر الكشاف ٤/٦٣، تفسير الرازي ٢٩/٢٢٣).

وذكر المؤمنين والمؤمنات كما ذكر بعد ذلك المنافقين والمنافقات والمصدقين والمصدقات

ال البشرى جميع من آمن وينال التبكيت جميع من نافق. (يسعى نورهم) قال (يسعى) ولم يقل (يمشي) للدلالة على إسراعهم أو الإسراع بهم للدخول إلى الجنة وإلا لو كان النور يسعى وهم يعشون لسبقهم النور وتركهم في الظلمة. وأسند السعي إلى النور ولم يقل (يسعون) لأن السعي قد يفضي بهم إلى الجهد والتعب فأسند السعي إلى النور للدلالة

على أنه يسعى بهم في مراكب أو محاف أو مطايا أو بغير ذلك وذلك على الصراط يوم القيامة وهو دليلهم إلى الجنة (ينظر فتح القدير ٢٤٢/٥. على طريق التفسير البياني 1/ 255-256).

وأضاف النور إليهم فقال (نورهم) ولم يقل يسعى النور للدلالة على أنه نور أعمالهم فيعطى لكل مؤمن نور على قدر عمله. (بين أيديهم وبأيمانهم) ذكر هاتين الجهتين لأن ما بين أيديهم هو الأمام وهي جهة السير والسعي والأيمان هي جهة إيتاء كتب السعداء ولم يذكر الشمائل لأنها جهة كتب الأشقياء، جاء في (الكشاف): وإنما قال بين أيديهم وبأيمانهم لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم) (الكشاف 63/4). قال تعالى (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا – الانشقاق ١٠ (١١)(وقال بأيمانهم) ولم يقل عن أيمانهم للدلالة على أن النور ملاصق للأيمان وليس مبتعداً أو منحرفا عنها. وقال (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ولم يقل المسلمين والمسلمات لإخراج المنافقين والمنافقات الذين لم يدخل الإيمان قلوبهم وقد أسلموا ظاهرا كما قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين – البقرة (٨) وقال (قالت الأعراب آمنا

قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم – الحجرات ١٤).بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار) حذف القول أي مقولا لهم أو يقال لهم لإرادة أن الأمر مشاهد مرئي مسموع وليس إخبارا عن غائب فأنت ترى المؤمنين وتسمع القول من دون أن تخبر بذاك، والدليل على ذلك قوله يوم ترى المؤمنين فذكر الرؤية مما يدل على أن الأمر مشاهد لا منقول سماعاً، والمراد بالبشرى ما يبشر به أي ما تبشرون به جنات (. ينظر روح المعاني . 27/ 268-269 على طريق التفسير البياني 1/ 255-256) (٣).سورة الحديد

وذكر (اليوم) لأن ذلك كائن في ذلك اليوم وليس بعده فهو قريب واقع، وقوله ذلك هو الفوز العظيم) واقع على جميع ما مر ذكره في الآية وآخره الجنة، فالنور الذي يسعى بين أيديهم وبايمانهم فوز عظيم والبشرى فوز عظيم والجنات فوز عظيم والخلود فيها فوز عظيم، والذي يدل على أن البشرى فوز عظيم قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم – يونس ٦٣، ٦٤) ، وعرف الفوز وجاء بضمير الفصل للدلالة على القصر وعلى أن ذلك وحده هو الفوز العظيم وليس ثمة فوز غيره وأن ما عداه هو الخسران المبين (ينظر على طريق التفسير البياني 1/ 257).

قال الدكتور فاضل السامرائي في كتابه على طريق التفسير البياني

– يسعى نورهم ولم يقل يمشي نورهم للدلالة على الإسراع بهم إلى الجنة وهذا إكرام، فإن الإيطاء إلى السعادة ليس كالإسراع إليها، وفي الإسراع ما فيه من الإكرام.

– أنه أسند السعي إلى النور ولم يسنده إليهم فلم يقل (يسعون) لأن السعي قد يجهدهم فأسنده إلى النور فدل على أنه يسعى بهم، فهو لم يقل إنهم يمشون لأن المشي قد يكون فيه إبطاء ولم يقل (يسعون لأن سعيهم قد يكون فيه إجهاد ولكنه أفاد السعي من ذكر سعي النور.

– قال يسعى نورهم فذكر الفاعل ولم يقل يُسعى بهم بالبناء للمجهول وحذف الفاعل فلا يدرى أيسعون في ظلمة أم في نور فذكر أن لهم نوراً يسعى.

– أضاف النور إليهم، وهذا فيه أمران: الأول: الدلالة على أن هذا النور إنما هو نور المؤمن وهو يدل على قدر عمله فهو إهابة بالمؤمن ليعظم نوره ويكثره. ومن ناحية أخرى لم يقل يسعى النور فيجعله عاماً فيستضي به المنافقون فجعل لكل مؤمن نوره الذي يستضيء به فلا يشاركه فيه غيره، فهذا إكرام للمؤمنين وإرهاق وحسرة على المنافقين.

– قال(بين أيديهم)، ومعنى بين أيديهم أمامهم، غير أنه لم يقل (أمامهم) لأن الأمام قد يكون بعيداً عن الشخص، فقد تسأل عن قرية فيقال: هي أمامك، وقد يكون النور أمامك ولا تتمكن من الاستضاءة به لبعده فقال (بين أيديهم).

– وقال (وبأيمانهم) ولم يقل عن أيمانهم لأن معنى بأيمانهم أنه ملتصق بالأيمان وليس مبتعدا عنها كما قال تعالى (وما تلك بيمينك يا موسى)– طه (١٧) ولو قال عن أيمانهم لدل أنه متراخ عن أيمانهم أو منحرف عنها لأن(عن) تفيد المجاوزة والباء تفيد الإلصاق.

– قال (بشراكم) ولم يقل يقال لهم بشراكم لأنه أراد أن يجعل المشهد حاضراً ليس غائبا يسمع فيه التبشير ولا ينقل. وأضاف البشرى إلى ضمير المخاطبين لتنال البشرى كل واحد ولم يقل البشرى جنات وهو إكرام آخر

– وقال (اليوم) للدلالة على قرب البشرى وأنها ليست من الوعد البعيد الوقوع، والبشرى كلما كانت أقرب كانت أحب وأدعى إلى المسرة.

– وقال (جنات) ولم يقل (جنة) للدلالة على أن لكل منهم جنة أو أكثر كما قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان – الرحمن (٤٦).

– قال (تجري من تحتها الأنهار ولم يقل فيها أنهار وذلك للدلالة على أنها جارية وليست راكدة، والركود مظنة الأسون هذا إضافة إلى التمتع بمشهد الجري ولذلك عندما لم يذكر الجري في قوله (فيها أنهار من ماء)– محمد (١٥) قال (غير آسن) لينفي عنها صفة الأسون ولما ذكر الجري لم يذكر ذلك لأنه لا حاجة إليه.

– وقال (الأنهار) ولم يقل (نهر) للدلالة على كثرة الأنهار.

– قال (خالدين) وهي بشرى أخرى، وقال فيها) للدلالة على أن الخلود في الجنات وليست الجنة مرحلة أو مكانا ينتقلون منه إلى ما هو اقل سعادة. ١٤

– قال (ذلك هو الفوز العظيم) ولم يقل ذلك فوز عظيم وإنما عرف الفوز بأل للدلالة على القصر وعلى أنه لا فوز أعظم منه، ثم جاء بضمير الفصل للزيادة في التوكيد.ثم إن الأمر يعظم ويكبر بعظم قائله فإن الفوز الذي يذكره طفل أو رجل من ضعفة الناس يختلف عن الفوز الذي يذكره قائد أو ملك. فكيف وقد ذكره ملك الملوك ووصفه بالعظمة وقصره وأكده؟! (على طريق التفسير البياني 1/ 263_264–265)

المطلب الثاني : النظم القرآني وتعددية التأويل

يُتيح النظم القرآني التنوع والتعددية في التأويل، مما يتوافق مع الحداثة التي تدعو إلى تقبل وجهات نظر متعددة وفهم المعاني بطريقة غير ثابتة، فالنص المفتوح يشجع على تفاعل القارئ مع النص، مما يخلق حوارًا داخليًا يمكن أن يتناغم مع أساليب الحداثة في قراءة النصوص.

مثال على ذلك تقديم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس. قال تعالى (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ سورة) سورة الحديد (11)

القرض الحسن هو الإنفاق بإخلاص النية لله وكونه عن طيب نفس وبشاشة وجه دون من أو تكدير وتحري المال الطيب الكريم وأفضل الجهات التي ينفق فيها (ينظر روح المعاني 266/27 والتحرير والتنوير 27/ 277).

فالقرض الحسن هو ما اجتمعت فيه عدة أمور منها في المقرض وهو الإخلاص وكونه عن طيب نفس وبشاشة وجه كما ذكرنا، ومنها في المال وهو أن يكون حلالاً طيباً وأن يكون من كريم المال ومنها الجهة التي ينفق فيها وهي ما كان أشدها حاجة وأكثرها فائدة للمسلمين وسمى الصدقة قرضا لأنه وعد بإعادتها مضاعفة، وذلك لأن المقترض يعيد ما اقترض وذلك لتهوينها على النفس وللترغيب فيها فإن النفس يسهل عليها الإقراض أكثر مما يسهل عليها الخروج عن المال من غير إعادة. قد تقول : لقد قال في آية أخرى (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)– البقرة (٢٤٥) ، فذكر في هذه الآية أنه يضاعف القرض أضعافاً كثيرة ولم يقل في آية الحديد ذلك وإنما قال فيضاعف له)

فلم ذاك؟ والجواب أنه قال في آية الحديد فيضاعف له وله أجر كريم فؤاد الأجر الكريم على المضاعفة فأغنى ذلك عن قوله أضعافا كثيرة) ولم يقل مثل ذلك في البقرة جاء في البحر المحيط "والظاهر أن قوله وله أجر كريم هو زيادة على التضعيف المترتب على القرض أي وله مع التضعيف أجر كريم" (تفسير البحر المحيط 1/ 104) .

والأجر الكريم: هو الحسن البالغ الجودة والجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل". فذكر جزاء القرض الحسن في الكم وهو المضاعفة وفي الكيف وهو وصفه بالكرم. وقد تقول : ولكنه ذكر في البقرة الأضعاف الكثيرة وهو الكم ولم يذكر الكيف ثم إن خاتمة كل من الآيتين تختلف عن الأخرى فلم ذاك؟ فنقول إن سياق كل من الآيتين يقضي بذاك فإن آية الحديد وردت في سياق الإنفاق، فقد تكرر طلب الإنفاق في السورة فقد قال قبل الآية (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وقال بعد ذلك وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله .... ثم جاءت

الآية (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا)، في حين لم يكن الإقراض في البقرة في سياق الإنفاق وإنما هو في سياق القتال فناسب ذلك ذكر الجزاء في آية الحديد بالكم والكيف .كما ناسب أن يكون ختام كل آية السياق الذي وردت فيه فلما كان السياق في البقرة في ذكر الموت والقتال ناسب أن يكون ختام الآية وإليه ترجعون فإن الموت رجوع إلى الله والقتال مظنة الرجوع إليه، فقد قال في سياق آية البقرة (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ٢٤٤سورة البقرة من ذا الذي يقرض الله قرضا حسناً ٢٤٥ ويستمر الكلام على القتال فناسب ختام كل آية السياق الذي وردت فيه. وقد تقول: لقد قال في آية سابقة من السورة فالذين آمنوا وأنفقوا لهم أجر كبير) وقال في هذه الآية وله أجر كريم فوصف الأجر في الآية الأولى بأنه كبير ووصفه هنا

بأنه كريم فما السبب؟ والجواب والله أعلم أنه ذكر في الآية الأولى الذين آمنوا وأنفقوا فزاد الإيمان على الاتفاق فكبرت الدائرة واتسعت فوصف الأجر بأنه كبير. وفي الآية الأخرى ذكر مضاعفة الأجور وهذا من الكرم، فالذي يعطي الكثير على القليل إنما هو كريم، ومن معاني (الكريم) في اللغة الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه فناسب ختام كل آية الموطن الذي ورد فيه، والله أعلم (السامرائي) .

كما ان النظم القرآني يُحفز الذهن ويدعو الى التفكير والتأمل، مما يتماشى مع منهجيات الحداثة التي تشجع على التفكير الفردي وتحليل النصوص بطرق مبتكرة.

مثال على ذلك قال تعالى ((5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ) سورة الليل (7)

" هذا وما بعده تفصيل للسعي المختلف بذكر ساعيه وعامله، وقد ذكر ثلاث صفات مقابل المقسم به، فقد أقسم بثلاثة أشياء وذكر من خلال الخير ثلاثاً، وقابل هذه الثلاث بثلاث من الصفات السيئة وهو قوله فأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى" (على طريق التفسير البياني . 128/1).

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ) لم يذكر مفعولي أعطى لا المُعطى ولا العطية قيل لأن المقصود الثناء على المُعطي دون تعرض للمعطى والعطية (ينظر البحر المحيط 8/ 483) ، وعلى هذا يكون المقصود الثناء على من أعطى بغض النظر عمن أعطاه ولا ماذا أعطاه. وقيل بل إن ذلك لإطلاق العطاء سواء كان متعلقاً بالمال أم غيره فقد يشمل ذلك حقوق المال وحقوق النفس في طاعة الله وعموم أوجه النفع للآخرين.

جاء في تفسير الرازي: "وفي قوله (أعطى) وجهان: أحدهما أن يكون المراد إنفاق المال في جميع وجوه الخير من على الرقاب ولك الأسارى وتقوية المسلمين على عدوهم . سواء كان ذلك واجباً أو نقلاً وثانيهما أن قوله أعطى) يتناول إعطاء حقوق المال وإعطاء حقوق النفس في طاعة الله تعالى ، يقال فلان أعطى الطاعة وأعطى السعة " (التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للرازي 31 /198).

وجاء في (التبيان في أقسام القرآن): "وحذف مفعول الفعل إرادة للإطلاق والتعميم اي اعطى ما أمر به وسمحت به طبيعته وطاوعته نفسه وذلك يتناول اعطاءه من نفسه الايمان والطاعة والاخلاص والتوبة والشكر واعطاءه الاحسان والنفع بماله ولسانه وبدنه ونيته وقصده " (التبيان في اقسام القران ابن القيم دار الكتب العلمية . ص37) .

وجاء في (البحر المحيط): "وحذف مفعولي (أعطى) إذ المقصود الثناء على المعطي دون تعرض للمُعطى والعطية، وظاهره بذل المال في واجب ومندوب ومكرمة، وقال قتادة أعطى حق الله، وقال ابن زيد: اتفق ماله في سبيل الله " (البحر المحيط 8/ 483).

يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي "والذي يترجح عندي أن المراد بـ (أعطى) إعطاء المال لأنه أظهر في هذا المعنى ولأن قابله بقوله (وأما من بخل) وذكر بعده وما يغني عنه ماله إذا تردى) وقوله (الذي يؤتي ماله يتزكى). فالراجح أن المقصود به إعطاء المال " (على طريق التفسير البياني .128/1).

جاء في (روح المعاني) ا"لان المعروف في الإعطاء تعلقه بالمال خصوصاً وقد وقع في مقابله ذكر البخل والمال" (التفسير الكبير 31/ 199) غير أنه أطلق الفعل ولم يقيده بمعطى ولا بنوع من أنواع المال ولا مقداره.

(واتقى) اتقى احترز وحذر، وأطلق الاتقاء ولم يقيده بشيء كما أطلق الإعطاء ليشمل كل ما ينبغي اتقاؤه لذا قال بعضهم اتقى الله، وقال آخر: اتقى البخل، وقال غيره : اتقى ما نهي عنه، والحق أنه يشمل كل ذلك وغيره مما ينبغي وأن يتقى إشارة إلى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي (ينظر البحر المحيط 8/ 483 والتفسير الكبير 31/ 199)

(وصدق بالحسني) والحسنى صفة وهي التأنيث الأحسن كالعليا تأنيث الأعلى وهي وصف مطلق لم موصوف معين، ولذا هي تشمل كل ما هو الاحسن وقد اختلفت اقوال المفسرين المقصود بهذا الوصف فقال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة أنه الخلف في الدنيا الوارد به وعد الله تعالى لقوله تعالى وما أنفقتم من فهو يخلف فيها وقال مجاهد والحسن وجماعة : الجنة، وقال جماعة الثواب. وقال السلمي وغيره : لا إله إلا الله. وقال القفال وبالجملة إن الحسنى تسع كل خصلة حسنة (ينظر البحر المحيط 8/ 483) .

وقد قدم العطاء على الاتقاء وقدم الاتقاء على التصديق بالحسنى وذلك لأكثر من سبب، فأما تقديم العطاء فقال فيه المفسرون إنه لكونه سبب النزول ذلك أن سبب النزول كان في شخص أعطى ماله في سبيل الله، قال جمهور المفسرين على أنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وذهب اخرون إلى أنه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . ونحن لا يعنينا هنا تعيين الشخص من هو فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن اللفظ يشمل كل من اتصف بالصفات التي ذكرها ربنا سبحانه وأبو بكر وأبو الحسن كلاهما مشمولان بهذا لوعد الحسن، وعلى أية حال فإن سبب النزول كان في شخص أعطى ماله في سبيل الله لكن تقديم العطاء أنسب لكونه سبب النزول.

واما التصديق بالحسنى فانه ليس بسعي وانما هو امر قلبي وتصديق وهناك أمر آخر في أولوية هذا الترتيب ذلك أنه قال قبله (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) سورة الليل (3) ومن الذكر والأنثى يكون المجتمع فقدم ما هو أهم بالنسبة إلى

المجتمع وهو العطاء فإنه أولى ما يقدمه الفرد، إذ على الفرد أن يكون معطيا لا آخذا على الدوام، فأول دعامة في بناء المجتمع وتطوره وتقدمه وازدهاره هو العطاء له وهو يعني التكافل والتآزر والتعاون وما إلى ذلك من خلال الخير. والدعامة الأخرى وهي الاتقاء وهو أن يحذر الإساءة إلى الآخرين وأن يحذر ما يدعو إلى الإساءة إليه فيكون لبنة صالحة تحفظ المجتمع الذي يعيش فيه. والاتقاء له جانبان ان يقى نفسه ويحفظها من الغوائل التي قد تقع عليه وأن يقي المجتمع مما قد يقع عليه أو من غيره ولذا أطلق الاتقاء والله أعلم. والدعامة الأخرى وهي التصديق بالحسنى وذلك من صفات المجتمع المؤمن وهي من الزم الأمور لتماسك المجتمع وقوته فالمصدق بالحسنى يكون مؤثرا لغيره على نفسه غير مفرط في حقوق الاخرين ويكون معطيا متقيا (ينظر على طريق التفسير البياني 1/ 130)

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) سورة الليل (7) . اليسرى صفة وهي اسم تفضيل مؤنث الأيسر كالحسنى مؤنث الأحسن والكبرى مؤنث الأكبر، وقد ذكر الصفة ولم يذكر لها موصوفا لقصد الإطلاق نظير (الحسني) فيما من وقالوا في (اليسرى) أقوالاً فقد قيل إنها الجنة وقيل إنها عمل الخير وقيل المراد أن سهل عليه كل ما كلف به من الأفعال والتروك. قال القفال : ولكل هذه الوجوه مجاز من اللغة وذلك لأن الأعمال بالعواقب فكل ما انت عاقبته إلى يسر وراحة وأمور محمودة فإن ذلك من اليسرى وذلك وصف كل الطاعات وقد قال بعض المفسرين أن معنى سنيسره لليسرى أي نهيئه للحالة التي هي أيسر عليه وأهون وذلك في الدنيا والآخرة .وقال اخرون أي فسنهيئه للخصلة الحسنى وهي عمل الخير، والمعنى فسنيسر له الإنفاق في سبيل الخير والعمل بطاعة الله، أما دخول السين على الفعل فلأنه وعد مؤكد سيحصل لمن فعل ذلك لأن السين تفيد الاستقبال والتوكيد أن الثواب لما كان أكثره واقعاً في الاخرة وكان ذلك مما لم يأت وقته ولا يقف احد على وقته إلا الله تعالى لا جرم تراخ فأدخلت السين لأنها حرف تراخي ليدل بذلك على ان الوعد آجل غير حاضر (ينظر تفسير الكبير 201/30 والبحر المحيط 483/8 والفتح القدير 5/ 440).

فمن خلال هذا النموذج من التوسع والتنوع في التفسير ما هو إلا بسبب نظم القرآن الكريم الذي جاء ليُحفز الذهن على التفكير والتأمل ، مما يتماشى مع منهجيات الحداثة التي تشجع على التفكير الفردي وتحليل النصوص بطرق مبتكرة

الأسلوب المباشر: يستخدم القرآن أساليب واضحة ومباشرة، خاصة في مسائل العقيدة والايمان بالله تعالى ومسائل الاخلاق مما يساعد في وصول المعاني بفعالية، ويعكس هذا الفهم في أساليب الكتابة الحديثة التي تسعى إلى البساطة والوضوح.

المثال على ذلك : قال تعالى (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) سورة لقمان)

وكون الشرك ظلماً لما فيه من وضع الشيء في غير موضعه وكونه عظيماً لما فيه من التسوية بين من لا نعمة إلا منه سبحانه ومن لا نعمة له لما بين لقمان لابنه إن الشرك ظلم ونهاه عنه كان ذلك حثاً على طاعة الله تعالى ثم بين أن الطاعة أيضاً تكون للأبوين وبين السبب في ذلك فهو من كلام لقمان مما وصى به ابنه أخبر الله تعالى عنه بذلك ، وكلا القولين كما ترى ، والمعنى وأمرنا الإنسان برعاية والديه { حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً } أي ضعفاً { على وَهْنٍ } أي ضعف . (ينظر تفسير الألوسي 15 / 436)

وفَرْق بين أنْ يتكلم الإنسان مع عامة الخَلْق ، وبين أنْ يتكلم مع ولده ، فالابن هو الإنسان الوحيد في الوجود الذي يودُّ أبوه أن يكون الابن أفضلَ وأحسن حالاً منه ، ويتمنى أن يُعوِّض ما فاته في نفسه في ولده ويتدارك فيه ما فاته من خير . ومعنى { وَهُوَ يَعِظُهُ .} (لقمان 13)

الوعظ : هو التذكير بمعلومة عُلِمت من قبل مخافة أنْ تُنْسى ، فالوعظ لا يكون بمعلومة جديدة ، إنما يُنبه غفلتك إلى شيء موجود عندك ، لكن غفلت عنه ، فهناك فَرْق بين عالم يُعلم ، وواعظ يعظ ، والوعظ للابن يعني أنه كان على علم أيضاً بالمسائل ، وكان دور الوالد أنْ يعظه ويُذكِّره .

ونلحظ في أسلوب الآية أن الله تعالى لما أخبر عنه قال { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ . . } [لقمان : 13] ولما تكلم لقمان عن ابنه قال { يابني . . } [لقمان : 13] ولم يقل يا ابني ، فصغّره تصغير التلطف والترقيق ، وليوحي له : إنك لا تزال في حاجة إلى نصائحي ، وإياك أنْ تظن أنك كَبِرت وتزوجت فاستغنيتَ عني .وأول عِظَة من الوالد للولد { لاَ تُشْرِكْ بالله . . } [لقمان : 13] وهذه قمة العقائد؛ لذلك بدأ بها؛ لأنه يريد أنْ يُصحِّح له مفهومه في الوجود (تفسير الشعراوي 1 / 7265).

الخلاصة: ان تأثير النظم البلاغي في القرآن الكريم يتجاوز الأبعاد الجمالية، ليصل إلى مستويات عميقة من الفهم والتفاعل. يتوافق هذا التأثير مع مفاهيم الحداثة، مما يُتيح للقراء والمفكرين فرصة لاستكشاف النصوص بطريقة جديدة وثرية.

المبحث الثالث : دور النظم القرآني وتأثيره على الفهم المعاصر من خلال تفسير الآيات

المطلب الاول : النظم القرآني وسيلة لمحاورة فكرية ودعوة الى التأمل واستنباط المعاني العميقة

يُعدُّ الإعجاز بالنظم القرآني من أبرز الجوانب التي تميز النص القرآني حيث يتجلى هذا الإعجاز في التركيب اللغوي، والأسلوب البلاغي، والتنظيم المعنوي الذي يضفي عمقًا خاصًا على الآيات. ويمثل هذا الإعجاز أداة فعّالة لمواجهة التحديات الفكرية المعاصرة ان تعزيز الفهم العميق للقيم الإنسانية يتناول المفاهيم الأخلاقية والإنسانية بشكل مبدع من خلال التركيز على الإيمان والأخلاق بدلاً من الطقوس الشكلية، مما يعكس ضرورة التفاعل الإيجابي مع

القيم الإنسانية في زمن يتسم بالتغيرات السريعة ان التفاعل مع القضايا الفكرية المعاصرة يساعد النظم القرآني على تقديم رؤى جديدة تتعلق بقضايا مثل العدالة الاجتماعية والتنوع الثقافي مما يسهم ويعالج بشكل فعال تقديم الحلول للتحديات النفسية والاجتماعية ان القرآن الكريم تناول العديد من القضايا النفسية والاجتماعية بطريقة موجهة، مما يسهم في معالجة التحديات المعاصرة .

ولناخذ امثلة على ذلك :

1. الفهم العميق للتنوع وتأثير هذا الفهم على التعايش في المجتمعات المعاصرة وحفظ حقوق الاخرين : قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) سورة الحجرات (13)

ان الناس بعمومهم كفاراً كانوا أو مؤمنين يشتركون فيما يفتخر به المفتخر غير الإيمان والكفر ، والافتخار إن كان بسبب الغنى ، فالكافر قد يكون غنياً ، والمؤمن فقيراً وبالعكس ، وإن كان بسبب النسب ، فالكافر قد يكون نسيباً ، والمؤمن قد يكون عبداً أسود وبالعكس ، فالناس فيما ليس من الدين والتقوى متساوون متقاربون ، وشيء من ذلك لا يؤثر مع عدم التقوى ، فإن كل من يتدين بدين يعرف أن من يوافقه في دينه أشرف ممن يخالفه فيه ، وإن كان أرفع نسباً أو أكثر نشباً ، فكيف بمن له الدين الحق وهو فيه راسخ ، وكيف يرجح عليه من دونه فيه بسبب غيره ، وقوله تعالى : { يأَيُّهَا الناس إِنَّا خلقناكم مّن ذَكَرٍ وأنثى } فيه وجهان أحدهما : من آدم وحواء ثانيهما : كل واحد منكم أيها الموجودون وقت النداء خلقناه من أب وأم (ينظر تفسير الرازي 4/ 189) .

ففي هذه الاية بين انه لا فرق ولا فضل لاحد على احد لا بالتقوى لاننا كلنا من اب وام واحد وقد بين رسولنا الكريم ذلك بقوله (يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ ألا لا فضلَ لِعربِيٍّ على عجَمِيٍّ ولا لِعجَمِيٍّ على عربِيٍّ ولا لأحمرَ على أسْودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقْوَى إنَّ أكرَمكمْ عند اللهِ أتْقاكُمْ) (سنن البيهقي في ((شعب الإيمان)) رقم الحديث (5137)).

(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) سورة النساء (32)

إن في النظم وجهين : الأول : قال القفال رحمه الله : إنه تعالى لما نهاهم في الآية المتقدمة أي في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) عن أكل الأموال بالباطل ، وعن قتل النفس ، أمرهم في هذه الآية بما سهل عليهم ترك هذه المنهيات ، وهو أن يرضى كل أحد بما قسم الله له ، فانه إذا لم يرض بذلك وقع في الحسد ، وإذا وقع في الحسد وقع لا محالة في أخذ الأموال بالباطل وفي قتل النفوس ، فإما إذا رضي بما قدر الله أمكنه الاحتراز عن الظلم في النفوس وفي الأموال .

الوجه الثاني : في كيفية النظم : هو أن أخذ المال بالباطل وقتل النفس ، من أعمال الجوارح فأمر أولا بتركهما ليصير الظاهر طاهراً عن الأفعال القبيحة ، وهو الشريعة . ثم أمر بعده بترك التعرض لنفوس الناس وأموالهم بالقلب على سبيل الحسد ، ليصير الباطن طاهرا عن الاخلاق الذميمة ، وذلك هو الطريقة . وإن الإنسان إذا شاهد أنواع الفضائل حاصلة لإنسان ، ووجد نفسه خاليا عن جملتها أو عن أكثرها ، فحينئذ يتألم قلبه ويتشوش خاطره ، ثم يعرض ههنا حالتان : إحداهما : أن يتمنى زوال تلك السعادات عن ذلك الإنسان ، والأخرى : أن لا يتمنى ذلك ، بل يتمنى حصول مثلها له . أما الأول فهو الحسد المذموم ، لأن المقصود الأول لمدبر العالم وخالقه : الإحسان إلى عبيده والجود اليهم وإفاضة أنواع الكرم عليهم ، فمن تمنى زوال ذلك فكأنه اعترض على الله تعالى فيما هو المقصود بالقصد الأول من خلق العالم وإيجاد المكلفين ، وأيضا ربما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعم من ذلك الإنسان فيكون هذا اعتراضا على الله وقدحا في حكمته ، وكل ذلك مما يلقيه في الكفر وظلمات البدعة ، ويزيل عن قلبه نور الإيمان ، وكما أن الحسد سبب للفساد في الدين ، فكذلك هو السبب للفساد في الدنيا ، فإنه يقطع المودة والمحبة والموالاة ، ويقلب كل ذلك إلى أضدادها ، فلهذا السبب نهى الله عباده عنه فقال : { وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ الله بِهِ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ } (ينظر تفسير الرازي 5 / 185).

المطلب الثاني : أساليب النظم القرآني ومدى تأثيرها على الفهم من خلال التفاعل بين النظم القرآني والفهم المعاصر ومقاربة بين الماضي والحاضر.

تعتبر النصوص القرآنية مرجعًا لفهم القضايا المعاصرة والتوجهات المستقبلية مما يمكن أن تُوظف دراسة النظم في مواجهة التحديات الفكرية المستقبلية، فيُعد النظم القرآني واحدًا من أبرز أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، حيث يجمع بين الجمال اللغوي وعمق المعنى، مما يجعل كل آية تُعبر عن أفكار تتخطى حدود الزمان والمكان. فالنظم ليس مجرد ترتيب للكلمات، بل هو فنٌ يُعبر عن جوهر الفكرة ويُبرز دلالاتها في أبعاد متعددة. فعندما نتأمل في الآيات القرآنية، نجد أن النظم يُسهم في تشكيل عقولنا بطريقة تُساعدنا على فهم القضايا المعاصرة أن الفهم يجب أن يكون متجددًا، غير مُقيد بالأفكار التقليدية، بل مفتوحًا لاستيعاب كل ما يُعزز من تجاربنا وفهمنا للوجود إن النصوص القرآنية تعكس عمقًا تاريخيًا يُمكن أن يُستخدم كمرجع لفهم الحاضر فلو امعنا النظر في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: 58]. لوجدناها اية صريحة تأمر بالعدل واداء الامانة وان الانسان مهما كانت صلة القرابة بل ابعد من ذلك ان يكون عادلا ولو كان الامر على نفسه او والديه قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: 135]. ولو تاملنا قوله تعالى في سورة المائدة لوجدنا انه من العدالة الاجتماعية انه لايمنعه الظلم الذي وقع عليه ان يبادل هذا الظلم بظلم مثله بل عليه ان يعدل قال جل في علاه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: 8].

فلو جمعنا ايات العدل التي وردت في القران الكريم لوجدنا تصب بمصب واحد وهو ان الحكم بالعدل من اساسيات قوام المجتمعات وهي العدالة الاجتماعية واقامة العدل بينهم

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: 41، 42].

قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: 152].

وقال تعالى ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: 29، 30]. قال جل في علاه ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: 181].

ان هذه الايات تتجاوز الزمن، فهي ليست مجرد نص ديني، بل هي أيضًا رسالة تدعو إلى التغيير الاجتماعي والعدالة في زمننا. إن القيم التي حددها القرآن تتلاءم مع التحديات المعاصرة. في عصر تتصارع فيه الأفكار وتتداخل الثقافات، فنجد أن النظم القرآني يوفر لنا رؤية متوازنة تسهم في تعزيز العدالة الاجتماعية يُعتبر النظم القرآني أداة حيوية في مواجهة التحديات الفكرية المستقبلية. في ظل العولمة والتغيرات السريعة التي يمر بها العالم، يمكن أن تكون النصوص القرآنية مصدر إلهام لتطوير استراتيجيات جديدة للتفاعل مع القضايا المعاصرة. ومن خلال دراسة النظم، نستطيع أن نستخرج أفكار جديدة تُعزز من الفهم العميق للإيمان وتطبيقه في الحياة اليومية.

في مجال الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، يمكن استخدام النظم القرآني لتوجيه الرسائل بطريقة تجذب الأجيال الجديدة، مُعززةً القيم الإنسانية والتغير نحو الافضل بالنصح والارشاد . من خلال نشر الأفكار القرآنية بأسلوب عصري وجذاب، نستطيع أن نُعيد تعريف العلاقات بين وتحمل المسؤوليات وان كل فرد في هذا المجتمع صغر ام كبر عليه ان يسير نحو الافضل . من خلال الدعوة الى التغير كما قال تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)سورة الانفال (53) وقال الله تعالى في سورة الرعد (الآية 11): (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ).

فهاتان اللايتان تدعوان إلى التفكير في التغيير الشخصي والاجتماعي.

ولقد أرشدنا – سبحانه – إلى أن الأمم ما سقطت من عرش عزها ، ولا بادت ومحى اسمها من لوح الوجود إلا بعد نكوبها عن تلك السنن التى سنها – سبحانه – على أساس الحكمة البالغة ، إن الله لا يغير ما بقوم من عز وسلطان ، ورفاعة وخفض عيش ، وأمن وراحة حتى يغير أولئك ما بأنفسهم من نور العقل ، وصحة الفكر ، وإشراق البصيرة ، والاعتبار بأفعال الله في الأمم السابقة ، والتدبر في أحوال الذين حادوا عن صراط الله فهلكوا ، أو حل بهم الدمار ، ثم لعدولهم عن سنة العدل ، وخروجهم عن طريق البصيرة والحكمة ، حادوا عن الاستقامة في الرأي ، والصدق فى القول ، والسلام في الصدر ، والعفة عن الشهوات ، والحمية على الحق ، والقيام بنصرته والتعاون على حمايته خذلوا العدل ولم يجمعوا همم على إعلاء كلمته وابتعوا الأهواء الباطلة ، وانكبوا على الشهوات الفانية، فأخذهم بذنوبهم وجعلهم عبرة للمعتبرين .هكذا جعل الله بقاء الأمم ونماءها في التحلي بالفضائل وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها .سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الأمم ، ولا تتبدل بتبدل الأجيال ، كسنته – سبحانه – في الخلق والإيجاد ، وتقدير الأرزاق وتحديد الآجال (تفسير الوسيط لسيد طنطاوي 1 / 1850). حتى يقع تغيير إما منهم ، وإما من الناظر لهم ، أو ممن هو منهم بسبب ، كما غير الله تعالى المنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة ما بأنفسهم ، إلى غير هذا في أمثله الشريعة. فليس معنى الآية أنه ليس ينزل بأحد عقوبة إلا بأن يتقدم منه ذنب ، بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير. وثم أيضاً مصائب يزيد الله بها أجر المصاب ، فتلك ليست تغييراً .

وهل زالت عن أحد قط نعمة إلا بشؤم معصيته فإن الله إذا أنعم على عبد بنعمة حفظها عليه ولا يغيرها عنه حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)سورة الانفال (53)

ومن تأمل ما قص الله تعالى في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره وما أزال الله عنهم من نعمه وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب كما قيل

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس

ومن سافر بفكره في أحوال العالم استغنى عن تعريف غيره له والمقصود أن هذه الأسباب شرور ولا بد وأما كون مسبباتها شرورا فلأنها آلام نفسية وبدنية فيجتمع على صاحبها مع شدة الألم الحسي ألم الروح بالهموم والغموم والأحزان والحسرات(ينظر التفسير القيم لابن القيم 2 / 263)

وفي الحديث : « إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب » (سنن الترمذي 2168 حديث صحيح) وقيل : هذا يرجع إلى قوله : { ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة } فبين تعالى أنه لا ينزل بهم عذاب

الاستئصال إلا والمعلوم منهم الإصرار على الكفر والمعاصي ، إلا إن علم الله تعالى أنّ فيهم ، أو في عقبهم من يؤمن ، فإنه تعالى لا ينزل بهم عذاب الاستئصال. وما موصولة صلتها بقوم ، وكذا ما بأنفسهم. وفي ما إبهام لا يتغير المراد منها : إلا بسياق الكلام ، واعتقاد محذوف يتبين به المعنى ، والتقدير : لا يغير ما بقوم من نعمة وخير إلى ضد ذلك حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته إلى توالي معصيته. والسوء يجمع على كل ما يسوء من مرض وخير وعذاب ، وغير ذلك من البلاء. ولما كان سياق الكلام في الانتقام من العصاة اقتصر على قوله : سوء ، وإلا فالسوء والخير إذا أراد الله تعالى شيئاً منها فلا مرد له ، فذكر السوء مبالغة في التخويف (البحر المحيط – (7 / 104)). { إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ } من النعمة والعافية { حتى يُغَيّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ } ما اتصفت به ذواتهم من الأحوال الجميلة لا ما أضمروه ونووه فقط ، والمراد بتغيير ذلك تبديله بخلافه لا مجرد تركه ، وجاء عن علي كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً يقول الله تعالى : « وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببت من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهت من معصيتي إلا تحولت لهم عما يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من عذابي » (العلو للذهبي الصفحة أو الرقم : 63 | خلاصة حكم المحدث : إسناده ضعيف) قال الكعبي : إن سائر الآيات دلت على أنه تعالى لا يبتدىء بالتعذيب والإهلاك لقوله : { إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حتى يُغَيّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ } [الرعد : 11] وقوله : { مَّا يَفْعَلُ الله بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءامَنْتُمْ } [النساء : 147] وقوله : { وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى القرى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظالمون } [القصص : 59] فكل هذه الآيات تدل على أنه تعالى لا يبتدىء بالإضرار (تفسير الرازي – (10 / 21))

والتغيير الذي يُجرِيه الله على البشر حتى يُغيّروا ما بأنفسهم؛ يشمل الإمدادات الفرعية؛ أما الإمدادات الأصلية فلا يمنعها عنهم مثل الشمس والقمر والنجوم والهواء؛ ولم يمنع الأرض أن تُخرِج لهم المياه . ويصيبهم في الأشياء التي من الممكن أن يسير الكون في انتظامه رغم حدوثها؛ كالمصيبة في المال أو المصيبة في النفس؛ ويظل الكون على مسيرته المنتظمة .

ولهذا نجد أحد الفلاسفة وقد قال : « إن الله لا يتغير من أجلكم؛ ولكن يجب أن تتغيروا أنتم من أجل الله » .وسبق أن قال الحق سبحانه : { . . . فَمَنِ اتبع هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يشقى } [طه : 123] وهو القائل سبحانه : { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً . . . } [طه : 124] وأنت ترى في عالمنا المعاصر مجتمعاتٍ مُتْرَفة؛ نستورد منهم أدوات الحضارة المعاصرة؛ لكنهم يعيشون في الضَّنْك النفسي البالغ؛ وهذا ما يُثبت أن الثراءَ المادي بالنقود أو أدوات الحضارة؛ لا يُحقِّق للإنسان التوازن النفسي أو السعادة؛

وينطبق عليهم ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله :

ليسَ الحمْلَ مَا أَطَاقَ الظَّهْرُ ... مَا الحمْلُ إلاَّ مَا وَعَاهُ الصَّدْر

فقد يكون الثراء المادي في ظَنِّ البعض هو الحُلْم؛ فيجنح الإنسان إلى الطريق غير السَّوي بما فيه من عُمولات؛ وعدم أمانة؛ ورغم النقود التي قد يكتنزها هذا الإنسان ، إلا أن الأمراض النفسية أو الأمراض العضوية تفتِكُ به . وهكذا نجد الحق سبحانه وهو يُغيِّر ولا يتغيَّر؛ فهو المُغيِّر لا المُتغيِّر .

وقول الحق سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ . . . } [الرعد : 11]

يُوضِّح لنا أن أعمال الجوارح ناشئةٌ من نَبْعِ نفس تُحرِّك الجوارح؛ وحين تصلح النفس؛ تصبح الجوارح مستقيمة؛ وحين تفسد النفس تصير الجوارح غير مستقيمة .

فالحق سبحانه وتعالى أخضع كل الجوارح لِمُرادَات النفس ، فلو كانت النفسُ مخالفةً لمنهج الله؛ فاللسان خاضع لها؛ ولا ينطق رغم إرادته بالتوحيد؛ لأن النفسَ التي تديره مخالفةٌ للإيمان .

والمَثَل : هم هؤلاء الذين نسبوا الرسل الذين اختارهم الله؛ فادَّعَوْا أنهم أبناءُ الله؛ وسبحانه مُنزَّهٌ عن ذلك؛ أما إذا كانت النفس مؤمنةً فهي تأمرُ اللسان أن يقول كلمة التوحيد؛ ويسعد هو بذلك؛ لكنه في الحالتين لا يعصي النفس التي سَخَّره لها الله . وهكذا تكون الجوارح مُنفعِلَة لإرادة صاحبها ، ولا تنحلُّ الإرادة البشرية عن الجوارح إلا حين يشاء الله ذلك في اليوم الآخر ، وفي الموقف الحق ولحظتَها لن يستطيع أحد أنْ يسيطر على جوارحه؛ لأن المُلْك يومئذ للواحد القهار؛ وسقطتْ ولاية الفَرْد على جوارحه؛ وتشهد هذه الجوارح على صاحبها بما فعلتْه وَقْتَ أنْ كانت مقهورة لإرادته (تفسير الشعراوي – (1 / 4552)).

إن النظم القرآني لا يقتصر على كونه مجرد أداة لفهم المعاني، بل هو رحلة عميقة نحو التفكير والتفاعل مع الوجود. يُمكن أن نرى في كل آية دعوة للاستمرار في البحث والسعي نحو الفهم الأعمق. إن القرآن، كمرجع دائم، يفتح أمامنا آفاقًا جديدة للمعرفة ويُمكننا من مواجهة التحديات بطريقة مُلهمة. لنعتبر النظم القرآني جسرًا بين الماضي والحاضر، يوفر لنا أدوات لفهم الذات والمجتمع بشكل أفضل. في عالم يتغير باستمرار، تبقى النصوص القرآنية مصدرًا دائمًا للإلهام والتوجيه، مما يجعلنا نتأمل في معانيها ونُعيد صياغة أفكارنا بما يتماشى مع قيم العصر الحديث.

النتائج

تخلص الدراسة إلى عدة نتائج أساسية، منها:

تعزيز الفهم: يُظهر البحث أن النظم له تأثير كبير في كيفية فهم المتلقي للنصوص، حيث يُعزز من عمق المعاني وبلاغة التعبير.

التركيب الجمالي: يُعتبر النظم عنصرًا أساسيًا في تشكيل جمال الآيات القرآنية، حيث يُسهم في خلق تجربة حسية ومعرفية متكاملة للقارئ.

تعدد المعاني: تُظهر نتائج البحث أن للنظم دورًا في فتح آفاق جديدة لتفسير النصوص، مما يُعزز من استمرارية الأثر الأدبي.

التوصيات

استنادًا إلى نتائج البحث، يمكن تقديم عدة توصيات:

تعزيز التعليم: ينبغي تطوير مناهج تعليمية تُركز على دراسة النظم في الاعجاز القرآني مما يعين على توسيع دائرة المعاني مما يعطي بعدا تفسيرا صالحا لكل زمان ومكان، ولتعزيز الفهم لدى الطلاب.

البحث المستمر: يُوصى بإجراء مزيد من الدراسات حول نظرية النظم، خاصة لطلبة الدراسات العليا والابحار في هذا المحيط العميق لاستخلاص المعاني وفق منهج حداثي .

دراسات مقارنة: يُفضل إجراء دراسات مقارنة بين النظم في القرآن والنصوص الأدبية الأخرى لتعميق الفهم البلاغي والنقدي.

في الختام، يُعتبر هذا البحث خطوة نحو فهم أعمق لنظرية النظم وأهميتها، مما يُعزز من مكانة التفسير والاعجاز في القران الكريم والفكر الحداثي المعاصر وان القران الكريم صالح لكل زمان ومكان .

المصادر والمراجع

1. Linguistic Miracle in the Holy Quran - University of Madinah Publisher: University of Madinah International

2. Clarification in the Sciences of Rhetoric by Al-Khatib Al-Qazwini, edited by Sheikh Bahij Ghazzawi, Publisher: Dar Ihya Al-Ulum, Beirut 1419 AH 1998 AD

3. Taj Al-Arous from the Jewels of the Dictionary by Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq Al-Hussaini, Abu Al-Fayd, nicknamed Murtada, Al-Zabidi, edited by a group of investigators. Publisher: Dar Al-Hidayah Al-Tibyan in the Sections of the Quran by Ibn Al-Qayyim, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah

4. Al-Tahrir and Al-Tanwir by Sheikh Muhammad Al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad Al-Tahir bin Ashour Al-Tunisi (died: 1393 AH) Publisher: Arab History Foundation, Beirut - Lebanon Edition: First, 1420 AH / 2000 AD

5. Tafsir Al-Bahr Al-Muhit by Muhammad bin Yusuf, known as Abu Hayyan Al-Andalusi Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah - Lebanon / Beirut - 1422 AH - 2001 AD Edition: First Investigation: Sheikh Adel Ahmed Abdel Mawgoud - Sheikh Ali Muhammad Muawad
6. Interpretation of Al-Shaarawy Muhammad Metwally Al-Shaarawy (died: 1418 AH) Publisher: Akhbar Al-Youm Printing Press
7. The valuable interpretation of Ibn Al-Qayyim Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad Shams Al-Din Ibn Qayyim Al-Jawziyya (d. 751 AH) Investigator: Office of Arab and Islamic Studies and Research under the supervision of Sheikh Ibrahim Ramadan Dar and Library of Al-Hilal - Beirut Edition: First - 1410 AH
8. The great interpretation called Keys to the Unseen Imam, the scholar, the scholar, the ink, the sea of understanding Fakhr Al-Din Muhammad bin Omar Al-Tamimi Al-Razi Al-Shafi'i Publishing House: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut - 1421 AH - 2000 AD Edition: First
9. The intermediate interpretation of the Holy Quran Muhammad Sayyid Tantawi Publisher: Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Al-Fagala - Cairo Edition: First, 1997 - 1998 AD
10. Evidence of the Miracle Abu Bakr Abdul-Qahir bin Abdul-Rahman bin Muhammad Al-Jurjani Investigation: Dr. Muhammad Al-Tanji Publisher: Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut First Edition, 1995
11. The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Noble Qur'an and the Seven Mathani Mahmoud Al-Alusi Abu Al-Fadl Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut
12. The People of Faith Abu Bakr Ahmad bin Al-Hussein Al-Bayhaqi Edited by: Muhammad Al-Saeed Basyouni Zaghloul Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut First Edition, 1410
13. Sunan Al-Tirmidhi Muhammad bin Isa bin Sawrah bin Musa bin Al-Dahhak, Al-Tirmidhi, Abu Isa (d. 279 AH) Edited and Commented by: Ahmad Muhammad Shaker and Muhammad Fuad Abdul-Baqi and Ibrahim Atwa Awad, Teacher at Al-Azhar Al-Sharif Publisher: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Printing Company - Egypt Second Edition, 1395 AH - 1975 AD
14. Explanation of the Signs of Miracles by Dr. Muhammad Ibrahim Shadi Published by Egypt Dar Al-Yabqin First Edition
15. The Elevation of the Most High, the Forgiving, in Clarifying the Authentic and Unsound News Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad Ibn Othman Ibn Qaymaz Al-

Dhahabi (d. 748 AH) Investigator: Abu Muhammad Ashraf Ibn Abdul Maqsood Publisher: Adwaa Al-Salaf Library - Riyadh Edition: First, 1416 AH - 1995

16. On the Path of Explanatory Interpretation Dr. Fadhel Saleh Al-Samarrai Dar Al-Fikr Edition: 3 Publication Date: 2023

17. Fath Al-Qadir Muhammad Ibn Ali Ibn Muhammad Ibn Abdullah Al-Shawkani Al-Yemeni (d. 1250 AH) Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalim Al-Tayyib - Damascus, Beirut Edition: First - 1414 AH

18. Al-Qamus Al-Muhit Majd Al-Din Abu Tahir Muhammad Ibn Yaqoub Al-Fayruzabadi (d. 817 AH) Investigation: Heritage Investigation Office at Al-Risala Foundation Supervised by: Muhammad Naim Al-Arqasusi Al-Risala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon Edition: Eighth, 1426 AH - 2005 AD

19. Al-Kashaf An Haqaiq Ghawamid Al-Tanzil Wa Uyun Al-Aqawil Fi Wujuh Al-Ta'wil Author: Mahmoud Ibn Omar Ibn Ahmed Al-Zamakhshari [d. 538 AH] Corrected and arranged by: Mustafa Hussein Ahmed Publisher: Dar Al-Rayyan for Heritage in Cairo - Dar Al-Kitab Al-Arabi in Beirut Edition: Third 1407 AH - 1987 AD 20. Lisan Al-Arab Muhammad bin Makram bin Ali, Abu Al-Fadl, Jamal Al-Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ruwaifi Al-Ifriqi (died: 711 AH) Publisher: Dar Sadir - Beirut Edition: Third - 1414 AH